

دور الفضاء العمومي في تشكيل التواصل الاجتماعي

The role of public space in forming social communication

جرادي سكيينة^{1*}، نورية سوامية²¹ جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)، sakina.djeradi@univ-mascara.dz² جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)، n.soualmia@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2021/12/12

تاريخ القبول: 2021/11/20

تاريخ الاستلام: 2021/05./12

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية الكشف عن مفهوم الفضاء العمومي وأهميته السياسية والاجتماعية التي نقشت من قبل الباحثين والمفكرين في المجتمعين الغربي والعربي، ويعدّ المفهوم في حد ذاته أحد المفاهيم المرتبطة بأعمال الفيلسوف والعالم الاجتماعي يورغن هابرماس بخاصة في القرنين الثامن والتاسع عشر. غير أن هذا المفهوم انبني على مركزية الفعل التواصلية المؤسس على الاستعمال العقلي بين الفاعلين، فهابرماس يتناول مسألة التواصل على أنّها ليست موضوعا فلسفيا بالمعنى الحرفي للكلمة، بل يتناولها من المنظور السوسيوتواصلية، بوصفها فعلا اجتماعيا. وهدفنا الأساسي في هذا المقال فهم استعمالات المفهوم في المجتمع البرجوازي الغربي والمجتمع المحلي الجزائري ودوره في تشكيل التواصل الاجتماعي.

كلمات مفتاحية: الفضاء العمومي، التواصل الاجتماعي، الفضاء الغربي، الفضاء الجزائري.

Abstract:

Through This research paper we are traig to un cover the concept of public space and its political and social importance That have been discussed by researchers and Thinkers in The western and arab societies, and the concept It self Is one of the main concepts which related to the works of philosopher and social scientist **Jürgen Habermas** especialy in 18th and 19th centries. However, This concept was based on The centralisation of The communicative action based on The mental use between action based on The mental use between actons, Habermas deals with communication issue as not a philosophical subject with it from the social communicative perspective as social act, and Our amis from This

* المؤلف المرسل: جرادي سكيينة

article Is to Under st and The used of concept in the western bourgeoisie society and The Algerian local society and its rôle to frome the social communication.

Keywords: public space, Social communication, western space, Algerian space.

1. مقدمة:

يعتبر مفهوم الفضاء العمومي من الأكثر المفاهيم تداولاً واشتغالا بين معظم الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، بما فيها علم الاجتماع، قصد فهم الحياة الاجتماعية والسياسية، فهو ذلك المجال الذي يتم فيه المشاركة والنقاش العلني لجميع الطبقات ولا يوجد فروقات بينهم.

لقد نشأ مفهوم الفضاء العمومي وتطور في المجتمع الغربي بواسطة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية، أدت إلى تحول الفضاء العام إلى خاصية من خصائص المجتمعات الديمقراطية الحديثة. ولكن من خلال ما تبين لنا أن استعمال المفهوم في المجتمع العربي قد تعددت تسمياته وهذا ما لاحظناه في جل الدراسات العربية الجزائرية، فترجمة المفهوم إلى المجال أو المكان لها بعد قيمي يعطي صفة ثانية للمفهوم.

إن هدفنا الأساسي هو تبيان مفهوم الفضاء العمومي وربطه بمفهوم التواصل الاجتماعي، فهذا المفهوم لم يعد منحصرًا بتبادل المعلومات وتقنيات تبليغها وإيصالها، بل أصبح يشكل نظرية علمية مستقلة بذاتها، وتعد المنطلقات الهابرماسية دليلاً على هذا التحول، فهي منطلقات استفادت من نظريات العلوم الاجتماعية التي ركزت على الهوية الذاتية والتفاعل مع الآخرين.

إن التواصل الاجتماعي هو عملية متبادلة من حيث التأثير والتأثر، كما يشير إلى العلاقة التي تحدث بين الأفراد داخل نسق اجتماعي معين، ومنه يعتبر الفضاء العمومي الذي طرحه هابرماس من أبرز القضايا المحورية من خلال النقاشات المهنية، وذلك لأهمية الدور الذي يؤديه في العملية الاتصالية.

وعليه سنحاول في بحثنا هذا التعرف على مفهوم الفضاء العمومي بشكل أوسع كونه لاق إشكالات عدة من قبل باحثين ومفكرين في شتى المجالات، ودوره في تشكيل التواصل الاجتماعي، طرح التساؤلات التالية: ما هو مفهوم الفضاء العمومي؟ ما هي آليات التواصل في الفضاء العمومي؟ كيف يساهم الفضاء العمومي في خلق التواصل الاجتماعي؟ وهل الفضاء العمومي في المجتمع البرجوازي الغربي هو نفس الفضاء العمومي في المجتمع المحلي الجزائري؟

2. مفهوم الفضاء العمومي :

يعتبر الفضاء، فضاء واقعيًا أو افتراضيًا الذي يتداول فيه الناس المواقف والنقاشات ويتبادل فيه الآراء، أما مصطلح العمومية فتعني القاعدة القانونية الذي تسري على الأشخاص دون تمييز كما أنها تسري على كل الوقائع التي تحكمها تلك القاعدة (خليل أحمد خليل، 1995، 15).

إن الفضاء العمومي مفهوم صعب ومتعدد الجوانب، ولهذا فمن الصعوبة بمكان صياغة تعريف واحد جامع وشامل لهذا المصطلح، ومن ثم فقد ظهرت تعريفات عدة تعاطت معه من منظورات مختلفة.

بداية الفضاء العمومي عند هابرماس J. Habermas هو: "الحيز المعنوي الذي يتم فيه عقد النقاشات العامة، من أجل اتخاذ القرارات التي تسير الشأن العام"

(COTTEREAU A. - PAUL L, 1992, p35)، إذن يطرح هابرماس الفضاء العمومي

كمفتاح للديمقراطية يسمح بالتبادل العقلي للآراء وجهات النظر.

وقد اعتبر ميشال فوكو M. Foucault "الفضاءات العمومية أماكن عمل، وبالتالي هي فضاءات لاستمرار أو بقاء الجماهير، وهي متواجدة في مراكز الصراعات الحادة والمتكررة بين مختلف السلطات التي تسعى لاستعمالها كأداة تعليمية بغاية سياسية أو دينية، أو كرهان اقتصادي. وتشكل الأماكن العمومية رهانات ذات أهمية خاصة، وبالتحديد، لأنها لا تستطيع

في أي وقت أن تستعيد الجماهير ملكيتها عبر الثروات أو الاحتفالات التي لا تعترف بشرعية السلط منها لضبط الاستعمال" (زقور عفاف، 2013، ص 123).

ويعرف كيري لويس L.Quéré الفضاء العمومي على أنه: "فضاء رمزي يسمح للأفراد بالتموضع داخل المجتمع واتجاهه، فالمفهوم يحمل فكرتين الأولى أنه مجال عمومي للتعبير الحر، تنظر إليه كفضاء للاتصال والثانية أن الأفراد بداخله يبرزون آرائهم خلال النقاش العلني، بحيث يلجئون إلى استعمال دلالات عقلانية، في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامة" (QUÉRÉ L, 1990, p.101)

ويطرح أحمد زايد تعريفاً أكثر اتساعاً للفضاء العام إذ يقول "إن المجال العام هو عالم الحياة الاجتماعية المفتوح على نظم المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية" (أحمد زايد، 2007، ص 185).

وقد اقترح محمد ناشي عشر عناصر تأسيسية لمفهوم الفضاء العمومي، تتمثل فيما يلي:

(NACHIM, 2013, p.27)

- فضاء فيزيقي، بوصفه مكان حقيقي reel (جغرافي، حضري، ريفي...) أو تقديري virtuel (الشبكات الاجتماعية) أين يتجلى ضمنه "العمومي"، وتجتمع داخله الجماعات، الأفراد، وكذلك الأشياء (الأجهزة، النصوص، الكفاءات، البنى...) وأشباه الأشياء (كائنات هجينة des êtres hybrides على حسب تعبير برينو لاتور (Bruno Latour)

- فضاء رمزي أين تتجلى داخله المواقف والآراء والقناعات التي تساهم في وضع الأسس للفعل أو الالتزام والتأسيس للعبة السياسية.

- فضاء للكلام أو الخطاب، بمعنى مكان للتبادلات، والتفاعلات، والنقاشات، والاحتجاجات، والنقد. وهذه الأماكن تكون ممثلة في المقهى، والسوق، والمسجد، والجمعية، والجرائد، ووسائل الاتصال، والشبكات الاجتماعية... "جمهور" متمثل في جمع من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم، يعرضون أفعالاً وأشكالاً من الالتزام الجماعي.

- خطابات تمثل تعبيراً عن حالات التفاعلات، عن النقاشات والانتقادات وعن الآراء المتبادلة.

- سيرورات ممارسات الأفعال، والمطالب، والتنظيمات والقرارات.
- الرؤية والإعلان بصفتها توضيحا لطريقة التجلي في الفضاء العمومي.
- دينامية للمشاركة تشتغل تبعا لنمط الاندماج/ الاقصاء (النساء، الأقليات، المهاجرون...)
- أي وفق علاقات القوة والسلطة.
- تفاضل وتنافس بين الفاعلين يفترض هرمية وتقسيمًا للأدوار والمهام والنشاطات.
- مخيال اجتماعي (بتعبير كاستورياديس Castoriadis) يمثل أساس السيرورة الابداعية للتجلي في الفضاء العمومي وأساس بناء العالم المشترك ونمط المشاركة الجماعية.
- ومنه يحمل الفضاء العمومي عدة معاني، فهو فضاء مادي (فيزيقي) يشمل الأماكن ذات الاستعمال المشترك كالساحات العمومية، والمقاهي، والأسواق، والمساجد وغيرها، وهو أيضا فضاء رمزي لأنه مجال للتبادل الحوار والآراء والمنافسات وغيرها.
- إن الفضاء العمومي هو ما يعرف بالمسارح والساحات التي تطرح فيه المشاركة الجماعية كما هو الميدان المفتوح، حيث الكل يبدي رأيه فيه ولديه الحرية في التعبير، ويحمل صفة الوسيط بين الفرد والمؤسسات التي ينتمي إليها.
- وبذلك يمكن اعتبار الفضاء العمومي على أنه الحيز أو المكان المفتوح للجميع بحيث يتبادلون المواقف والآراء والأنشطة قصد تحقيق أهداف معينة.

3. هابرماس والتأسيس للفضاء العمومي:

قبل الحديث عن الفضاء العمومي الهابرماسي يجب الإشارة إلى فكر الأنوار، ولاسيما إلى الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط I.KANT. ونظرته لمسألة العمومية، فهو يعتبر الفضاء العمومي على أنه مجال تبلور فيه حركة الفكر، ويشهر فيه سلاح النقد إزاء كل ما يتناقض ويتنافر مع الحرية والعدالة والفضيلة من قبل الدولة، بغرض إبداء آرائهم في المبادئ العامة من أجل معالجة موضوع الحرب والسلام وتأسيس الدولة (هوارى حمزة، 2013، ص 15). ويرى الفيلسوف هابرماس أن استمرارية المجال العمومي في المجتمع يؤدي أدواره بانتظام، مما

يساهم في تشكيل العلاقات الاجتماعية والسياسية، التي تسمح بمناقشة القضايا العامة بين الأفراد (Habermas, Jürgen, 1991, p.196).

يؤكد الفيلسوف هابرماس على أن العمومية الكانطية استوجبت الانتقال من الفردية إلى الكونية على مستوى الأخلاق والسياسة، حيث هدفت هذه العمومية إلى الوصول إلى مجتمع مدني يقيم الحق على نحو كوني، التي تهدف إلى السلم. غير أن هابرماس وجد معيار الكونية الكانطي غير كافية وحدها، فهي بحاجة للتواصل والحوار والنقاش بين مجموع الذوات، الذي يركز على الاجماع بارتكاز على واقع الممارسة الاجتماعية (رشيد العلوي، 2014، ص 14-15).

لقد أشار هابرماس في أطروحته الفضاء العمومي سنة 1962، كما اهتم في كتابه بتحليل نموذج الفضاء العمومي البرجوازي الذي ميز مرحلة تاريخية مهمة، واهتم بالفضاء العمومي باعتباره فضاء لممارسة قضايا حق المواطنة والفعل السياسي الديمقراطي المبني على الحوار وتبادل الآراء.

إن التفكير في الفضاء العمومي هو التفكير في عملية التواصل التي تقوم بين أفراد المجتمع من أجل تحقيق التفاعل والاندماج الاجتماعي إذ تقول **Arendt Hannah** يستعمل الفضاء العمومي لتبادل الآراء والأفكار بين الأفراد والجماعات، حيث أن فكرة الرأي العام أصبحت مرتبطة بمفهوم الفضاء العمومي (COTTEREAU A, PAUL L, 1992, p.30).

ويؤكد هابرماس ارتباط مفهوم الفضاء العمومي بمفاهيم أخرى كمفهوم الحرية والنظام السياسي والديمقراطية؛ حيث يرى أنه يعني "الاستعمال العمومي داخل المجتمعات البرجوازية، أين يتم إبراز الفرق بين النبيل الذي يجمع الضرائب والبرجوازي النشط الذي يدفعها، وهو المعروف بالمواطن الذي يأخذ أحقيته من النشاط السياسي والمشاركة في اتخاذ القرار" (مالفي عبد القادر، 2013، ص 37).

وعليه يمكن القول أن الفضاء العمومي حسب هابرماس هو فضاء للنقاش، يمارس فيه الفرد حق المواطنة التي تتمثل في حرية التعبير، حرية التنقل، وكذا حرية الاتصال والتعرف

على أوضاع المجتمع سواء داخله أم خارجه. إنه المجال الذي يمارس فيه النقاش العام في المسائل السياسية والاجتماعية التي تهم أفراد المجتمع المدني (Habermas, 1998, p14).

بما أن الفضاء العمومي هو مجال للنقد ومناقشة المسائل التي تهم أفراد المجتمع، يميز لنا هابرماس بين سلطتين السلطة الإدارية، والسلطة الاتصالية فبالنسبة له السلطة الاتصالية هي تصورا معياريا للفضاء العمومي. إذ يقول "إن الفضاء العمومي تصور عقلائي مرتبط بالسلطة والممارسة، وهو يعمل على تهذيب السياسة ونقدها ويبحث عن تجسيد سلطة الأفراد والجماعات" (فريدة عكروت، 2018، ص4).

إن الفضاء العمومي هو مكان للحوار وتبادل الآراء والمواقف من خلال التواصل الاجتماعي، هذا التواصل يساهم بتحريك البنية الاجتماعية، فالمكان يمكننا من التعرف على قيم ومعايير مرتبطة بالواقع الاجتماعي.

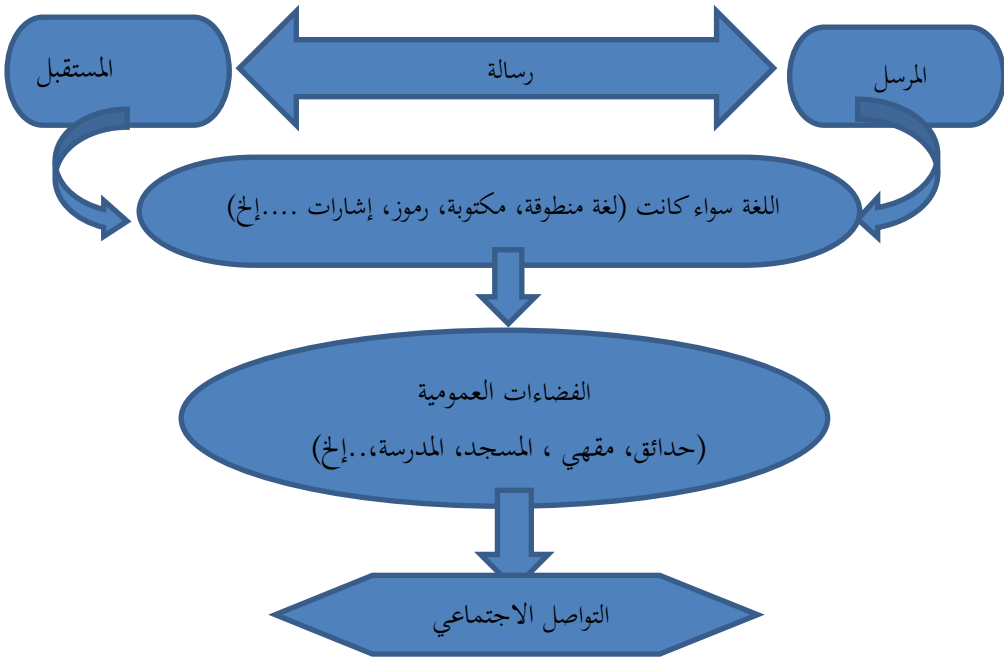
4. آليات التواصل في الفضاء العمومي

تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن مفهوم التواصل سبق إليه المفكر هابرماس في نظرية الفعل التواصل، وقد استند في هذه النظرية إلى اللغة الذي تعطي مكانة أساسية لجانب الاتصال بالنسبة لأفراد المجتمع (كمال بومني، 2010، ص118)، فاستخدم مفهوم التواصل من أجل تحقيق الاندماج الاجتماعي، وفي هذا الصدد يقول هابرماس "التواصل هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن إعادة ربط الصلة بين أفراد المجتمع المشاركين في العملية التواصلية" (يورغن هابرماس، 2003، ص63).

إن التواصل هو التفاعل المصاغ بواسطة الرموز والإشارات والذي يتحدد بمختلف أنماط السلوك المتبادلة، وكذا نقل الأفكار وتبادل الخبرات والمعارف بين الأفراد والجماعات، فهو جوهر العلاقات الإنسانية، وإن توسعنا بشكل أكثر يعني أن هذا المصطلح هو عملية تنتقل من خلالها الرسائل أيا كان طبيعتها ومحتواها ونوعها. بحيث تجعل التفاعل الاجتماعي

ممكنا، ففي البداية كان الاهتمام باللغة الاجتماعية كأداة للتواصل، مثل ما حاول جبرائيل تارد "الذي فضل مقارنة ترتبط بالنسب العائلي في كتابه "الرأي العام والحشود" إلى قاعات الاستقبال والمحادثات وهو يعتبر الحديث أقوى عامل قادر على التقليد ونشر الأفكار وأنماط العمل (جيل فيريول، 2001، ص53).

الشكل: يوضح آليات اللغة كوسيلة اتصال تساهم في تشكيل التواصل الاجتماعي عبر الفضاءات العمومية:



المصدر: من إعداد الباحثين

يسعى هابرماس إلى بناء نظرية للمجتمع من خلال طرحه لمسألة العقلانية التي تستلزم نسقا اجتماعيا، فنظرية الفعل التواصلية تسعى إلى الابتعاد عن فلسفة الوعي، لذلك فإن الفعل

التواصلية عند هابرماس يرمي إلى الفهم الذي يتحقق عن طريق التفاهم والتواصل والحوار العقلاني (كريب أيان، 1999، ص 309-310).

وانطلاقاً من ذلك اقترح هابرماس أربعة مفاهيم للفعل التواصلية من أجل تطوير نظريته وهي الفعل الغائي، الفعل المضبوط، الفعل المستوحى والفعل التواصلية (لويس ألتوسير، 1998، ص 263).

ومن خلال هذا فنظرية الفعل التواصلية عنده مرتبطة باللغة والخطاب التي يستعملها الفاعل لتحقيق غايته وأهدافه، فنظرية هابرماس تركز في الأساس على العقلانية التواصلية والتي تفترض الحوار والنقاش بين الأفراد من أجل الوصول إلى حقيقة مشتركة، حيث يقول: "الفعل التواصلية يمثل في الوضع المثالي خطاباً ناجحاً في حالة انعدام أي ممارسة لا تستند إلى أي إجماع" (حياة لصحف، 2013، ص 155-156).

إن نظرية الفعل التواصلية تؤدي إلى التفكير في المجتمع، كما تهدف إلى التواصل الذي يحقق التفاعل والتفاهم المشترك، هذا التفاهم قد يتجاوز العقل الأداتي (Raison instrumental) إلى العقل التواصلية (Raison communicationnel). هكذا يتبين أن نظرية التواصل عند هابرماس انبت على أسس الفكر الفلسفي والاجتماعي الذي يستند لها مفهوم الفضاء العمومي، إذن فهو ليس مفهوماً منفصلاً؛ ولكنه مفهوم مرتبط بالنظرية التواصلية. تتنوع مرجعيات هابرماس في النظرية التواصلية بين الفلسفية والسوسيولوجية والعلمية واللغوية، لكن تم فقط التطرق إلى المنطلقات الفلسفية والسوسيولوجية المتعلقة بالنظرية التواصلية.

1.4 المرجعيات الفلسفية والسوسيولوجية للنظرية التواصلية

- المرجعيات الفلسفية

استفاد هابرماس من فلسفة هيجل خاصة في ما يتعلق بالعقل الذاتي، فهي بذلك اكتساب للمعنى من منطلق تأملي ومتناظر، فكل شخص فرد يشبه الآخر ولكن يختلف معه، فالعلاقة

من الآخر إلى الذات ومن الذات إلى الآخر (الاعتراف المتبادل) ليست تمثلاً؛ لكن كطريقة للتنشئة الاجتماعية والاعتراف ما بين الذوات، بحيث يجد تحققه الشهير في جدلية السيد والعبد (حسن مصدق، 2005، ص 134-135).

فحسب رأيه، إن هيغل لا يربط بين تشكيل الذات بتأمل ذاتي معزول عن نفسه، ولكنه يربطها بالوسيط (medium) الذي تتطور من خلاله عملية تفاعل الهويات الفردية لتحقيق وجودها (حسن مصدق، 2005، ص 137).

كما أخذ هابرماس عن هوسرل فكرة العالم المعيش، إذ يميز هوسرل بين نوعين من الحقائق والعوالم فهناك حقائق العالم المعيش وحقائق العلوم الموضوعي: فحقائق العالم المعيش يقصد بها حقائق تاريخية لها علاقة بالتجارب والخبرات وهي مقرونة بسياقات ثقافية معينة، أما حقائق العلوم الموضوعية فهي كونية غير ثقافية ولا علاقة لها بالمحيط الثقافي ومسلّماتها قابلة للتطبيق في كل مكان؛ أي أن فكرة العالم المعيش تعني عالم الوجود، مثلما هي حياة الإنسان اليومية يمارسها في محيط اجتماعي ومقرونة بسياق اقتصادي وثقافي فهو عالم التجربة الآنية، ويتعلق الإنسان ببيئته الثقافية والمجتمعية (حسن مصدق، 2005، ص 139).

- المرجعيات السوسولوجية

اهتم الفيلسوف هابرماس بسوسولوجيا فيبر انطلاقاً من طرحه لمسألة العقلانية، بمعنى أنه يشير إلى العقلانية ودورها في المجتمع الرأسمالي الغربي، ويرى أن فيبر حين قدم مفهوم العقلانية كان يقصد قانون حق الملكية الخاصة، والعقلانية التقنية التي تخضع للقرار الرشيد، ويضبط الممارسة الأداتية التي أضعفت وأواصر العلاقات الاجتماعية. في المقابل يطرح هابرماس نوعاً آخر من العقلانية التواصلية التي تبحث عن التفاهم من خلال الحوار بين العالمين (حسن مصدق، 2005، ص 110). وتقول الباحثة فوزية شراد "قد بين هابرماس لنا أن تغيير البراديم الذي أعلن عنه من خلال علم النفس الاجتماعي "لهرت ميد"

في نظرية التواصل من تبيان كيفية الانتقال من التفاعل المحكوم بالإشارات إلى التفاعل المحكوم بالرموز، وذلك من خلال التمييز بين المجتمع الإنساني والمجتمع الحيواني مقارنا بين المجتمعات الإنسانية والحيوانية مؤكدا على خلق عوالم مشتركة بين الفاعلين باستخدام الرموز (فوزية شراد، 2009، ص 82).

2.4 اللغة عند هابرماس في النظرية التواصلية

تعتبر اللغة وسيلة وسلوك اتصالي وظفها هابرماس في نظريته التي شكلت فكره الاجتماعي بما أنها وسيلة تقوم على نقل الأفكار الخاصة بين أفراد المجتمع، فاللغة في رأيه مقرونة ببعد اجتماعي نتيجة التواصل بين الأفراد ، إذن الشيء المهم بالنسبة للغة هو الخطاب الاتصالي فمادام فعل الخطاب " يتضمن أيضا إنجاز فعل أو دعوة إليه، إذ ليس هناك كلام من أجل الكلام فاللغة هي نفسها أداة لممارسة أفعال ويصبح الخطاب قابلا للتحقق، فالبعد اللغوي للنظرية التواصلية يكمن في توضيح الجانب الاجتماعي الاتصالي للغة، فهو يري فيها مجالا للتواصل الاجتماعي الفعلي بين الأفراد، من خلال النظريات الاجتماعية والفلسفية والتي تطرح جدالا واسعا، تحليل المفاهيم السياسية مثل الديمقراطية والحق والواجب والممارسات الخطابية، انطلاقا من بعدها اللغوي الاتصالي والاجتماعي (حسن مصدق، 2005، ص 75-82).

5. الفضاء العمومي البرجوازي والفضاء العمومي المحلي

يعد الفضاء العمومي مكان للنقاش والتحاور، كما يعتبر مجال للممارسة السياسية وشكل من أشكال التواصل الاجتماعي؛ بحيث يرى هابرماس أن الفضاء العمومي في المجتمعات الغربية نشأ في الصالونات والمقاهي وكان الناس يلتقون في هذه الأماكن ويناقشون القضايا العامة من خلال الصحف والمنشورات التي يقرؤونها، إلا أن هذه الصالونات والمقاهي أدت دورا حيويا في نمو الديمقراطية كما أتاحت الفرصة لتداول الآراء وتبادلها حول القضايا السياسية من خلال النقاش العام (أنتوني غيدنز، 2005، ص 512).

بمعني أن الفضاء العمومي يكتسي مكانة عالية في المجتمع الديمقراطي من خلال استعمالاته المنظمة من طرف المجتمع. وتختلف استعمالات الفضاء العمومي في المجتمع الغربي عنه في المجتمع العربي الإسلامي (فلة بن غربية، 2011، ص 310)؛ إذ أن استعمال المفهوم من المنظور الغربي له دلالات رمزية و لغوية، كما يحمل وجهتين مختلفتين: الأولى تدل على أنه مكان للتعبير الحر، أما الثانية: تعبر على أن الأفراد بداخله يبرزون أفكارهم خلال النقاشات المتداولة بينهم. فقد لعبت الطبقة البرجوازية دورا مهما في تشكيل المجتمع الغربي، هذه الطبقة التي غيرت مجرى حياة المجتمع من مجتمع إقطاعي إلى مجتمع رأسمالي المالك لوسائل الإنتاج، ومن هذا المنطلق برز استعمال مفهوم الفضاء العمومي الذي يقوم على نشر الوعي السياسي والمساواة بين الجنسين (الرجل والمرأة) وكذا تكوين الرأي العام، والمطالبة بتحقيق المصلحة العامة. أما استعمال مفهوم الفضاء العمومي في المجتمع المحلي الجزائري يختلف تماما، بالاختلاف البني الاجتماعية، فبعدما كان فضاء يتميز بالتنظيم وتقسيم مؤسساته كل بحسب السياق، مثل الفضاء الديني (مكة) كفضاء يتداوله أفراد المجتمع من أجل العبادة والحج، باعتباره مكان مقدس، لكن في الآونة الأخيرة قد استغلت من قبل الهيئات الخاصة وأصبحت فضاءً للتجارة (فلة بن غربية، 2011، ص 316).

وقد اعتبر الكاتب نصر الدين لعياضي أن طبيعة المفهوم في المجتمع الجزائري والعربي يشكل صعوبة حقيقية، لأن هناك من يعارض استعمال هذا المفهوم في المجتمعات العربية وهذا التعارض نابع من نزعة أساسية بمعنى الوقوف ضد كل محاولة توظيف مفاهيم غربية في المجتمع العربي (فلة بن غربية، 2011، ص 322). ومنه، المجتمع الجزائري والعربي لا يستعمل المفاهيم الغربية كمثال على ذلك نجد معظم الباحثين في المجتمع العربي والجزائري يستعملون مفاهيم مغايرة، كالباحثة نسيمه ادريس بدلا من أن تستعمل مفهوم الفضاء العمومي تستخدم مصطلح المجال العام، كونه يعبر عن مكان، ساحة، زنقة، وكل هذه المفاهيم نستطيع القول بأنها تعبر عن مفهوم واحد ألا وهو الفضاء العمومي الذي ارتبط

هذا الأخير بالعملية الاتصالية، سواء بين الأفراد فيما بينهم أو بين المؤسسات المختلفة، وكذا المفكر العربي عبد الرحمان ابن خلدون الذي تناول مفهومًا مغايرًا بدلًا من الفضاء العمومي ألا وهو العمران البشري؛ إذ درس ابن خلدون المجتمع العربي في مرحلة النزعات الفكرية والدينية والسياسية وهو معاش له في القرن 14 للميلاد، واستعمل في دراسته مصطلح العمران البشري مبينًا لنا الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، من أجل فهم حركية المجتمع ككل مركزًا على دور المدينة خاصة في الإنتاج العمراني (قلة بن غربية، 2011، ص 319-320). ولقد ساهمت وسائل الاتصال في تشكيل الفضاء العمومي، فتطور الصحافة في القرن الثامن عشر في إنجلترا كان بمثابة قناة للرأي العام ووسيلة للتعبير الحر وذلك من خلال ما ينشر عن الحريات الأساسية والحق في إبداء الرأي (حسن رمعون، 2013، ص 37). وقد تم الانتقال من صحافة الرأي إلى صحافة تجارية من خلال التطور التقني في مجال نقل المعلومات، كما أصبح محررو الجرائد بعد عام 1870 أقل اهتمامًا بالمصلحة العامة والرسالة التنويرية ودفاعهم عن المصلحة الخاصة (كوينتين دولافيكوتوار، 2013، ص 54). أما بالنسبة للجزائر فكان ظهور الصحافة المكتوبة يختلف عن المجتمع الغربي وذلك يعود لأسباب الثورة الاستعمارية بخاصة في فترة الاستقلال، وهذه الفترة بالتحديد تغير حال المجتمع الجزائري وظهر ما يعرف بالصحافة الوطنية التي تنادي بحرية التعبير وحق التواصل والمشاركة في صناعة الخبر وهذا من أجل المساهمة في بناء الديمقراطية علي مستوى الوطن، ومن خلال هذا التواصل أصبح الأفراد ينمون أفكارهم من أجل تشكيل الفضاء العمومي (حسن رمعون، 2013، ص 38-42). ولقد لعب المسرح أيضًا دورًا مهمًا في صناعة وتسيير المجال العمومي؛ إذ نعتبره شكل من أشكال الاتصال الجماهيري الذي يؤثر على الرأي العام كما أنه مظهر من مظاهر الفضاء العمومي فهو إذن مسرحًا أدبيًا يستخدم من قبل طبقة النبلاء من أجل الترفيه، بل ويعتبره أيضًا وحدة تاريخية ساهمت في تشكيل الفضاء العمومي، ونجد أن المجتمع البرجوازي هو الذي قام بتشكيل الفضاء

العمومي بعدما كان مجالاً خاصاً، لكن في الوقت الحالي أصبح يعرف بالمجال العام(حسن رمعون، 2013، ص 43). أما في ما يخص المسرح الجزائري فكانت نشأته الأولى مع الممثل علالو، وما يقدمه على خشبة المسرح يريد به تنمية وعي الجمهور ودفع الحركة الإنتاجية لرسم معالم الخطوط الثقافية، بحيث كان يعتمد على لغة يبعد فيها أذهان الجمهور، فهذا الابتعاد غير صورة الجمهور المتلقي من إنتاج المعني الثقافي إلى إنتاج أفكار تحسيسية للشعور بالوطنية، إن روح المسرح الجزائري منذ ولادته وبأول عرض مسرحي عام 1922، خلق عدة قضايا وطنية نقلت المسرح من اللغة العربية إلى اللغة الشعبية بهدف ربط المتلقي بالنص المسرحي الفكاهي، هذا التغير خلص المجتمع الجزائري من الأوهام والأفكار الخرافية مثل مسرحية عطيل لشكسبير، ومنه تطور المسرح الجزائري لغة وأدبا ساهم في توعية الجزائريين بقضايا جوهريّة تنمي الوعي السياسي المرتبط بالوطنية وبالعالم المعيش وفق المنظور الهابرماسي، والابتعاد عن المسرح الأرسطي الذي يستهدف المتلقي وتغيب وعيه(حسن رمعون، 2013، ص 43-44).

وعليه، فإن استعمال مفهوم الفضاء العمومي في المجتمع المحلي الجزائري ليس شبيهة باستعمالاته في المجتمع البرجوازي الغربي، ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن وسائل الاعلام (الصحافة والمسرح) خاصة في فترة الاستعمار ساهمت في خلق فضاءات عمومية من خلال التواصل الاجتماعي القائم على التوعية والمطالبة بالحرية وكذا تنمية الوعي السياسي لأفراد المجتمع.

6. خاتمة:

إن موضوع الفضاء العمومي أحد أهم المواضيع التي شغلت فكر الباحثين في مختلف التخصصات فأولى الاستعمالات لهذا المصطلح كان من خلال الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني يورغن هابرماس الذي استخدمه من أجل توضيح الحياة العامة في المجتمع البرجوازي ولتحقيق التواصل بين الأفراد، كون هذا الفضاء يتسم بالتباين في النشاطات وطبيعة

العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد. كما تعد نظرية هابرماس للفعل التواصلي أهم نظرية في مشروعه، فهي تجمع مرجعيات فلسفية وسوسيولوجية. وبناءً على ما سبق، تبين لنا أن هابرماس لم يشكل مفهوم الفعل التواصلي من فراغ؛ بل من أبحاث فلسفية وسوسيولوجية، فنظرية هابرماس التواصلية تركز على البعد التواصلي؛ لأن العلاقات الاجتماعية لا يمكنها أن تقوم من العدم، بل على علاقات البشر المبنية على التفاهم والتفاعل، كما أن البشر لا يمكنهم أن يستمروا إلا من خلال تسهيل سبل عملية الاتصال فيما بينهم، ولكن الواقع الاجتماعي يحتاج إلى روابط اجتماعية تواصلية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال الحوار والنقاش والتواصل في فضاءات عمومية مختلفة.

ومن خلال ما تطرقنا إليه في هذا المقال، يتضح لنا أن الفضاء العمومي يسهم في تشكيل التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع وبالخصوص في المجتمع الجزائري، فإذا كان الفضاء العمومي الغربي يبحث عن تشكيل الرأي العام والديمقراطية بحسب التفكير الهابرماسي، فإن الفضاء العمومي الجزائري كان متمسكا بالعادات والتقاليد والقيم المتعارف عليها وعلي سبيل المثال الأعياد الوطنية والدينية التي تعرض كل سنة وتقوم بتنظيم الاحتفالات من خلال العروض المسرحية خاصة في المؤسسات التعليمية من أجل غرس القيم والعادات في أذهان أفرادها، ولكن هذا الفضاء لم يبق على حاله، نتيجة ظهور الجيل الثاني والثالث وما يعرف بشبكات التواصل الاجتماعي الذي انتشرت في أوساط هذا المجتمع بعدما كان متمسكا بعاداته وعلاقاته الاجتماعية والأسرية؛ وضمن هذا التغيير أصبح أفرادهم يعيشون في فضاءات عمومية غربية نتيجة لاختلاط الثقافات الأخرى التي سيطرت على عقولهم، وهذا ما وقع في الفترة التي مضت، المعروفة بالحراك الشعبي والتي كان هدفها الأساسي التحول الديمقراطي ومحاربة الفساد السياسي الذي سلب حقوق ووجبات أفراد المجتمع وهؤلاء يطالبون بالتغيير والدعوة إلى تنظيم دولة حديثة، فمكان هذا الفضاء ليس منسجما بعد، فهو في صراع سياسي، ولزوال هذا الصراع يجب البحث في فكر تواصلي اجتماعي، سياسي

فيما بيننا من أجل تفادي المشكلات الاجتماعية والسياسية والدفع بعجلة التقدم والتطور الحضاري الجزائري.

7. قائمة المراجع:

- 1- خليل أحمد خليل، (1995)، معجم المصطلحات الاجتماعية، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- 2- COTTEREAU A. - PAUL L.. (1992). Pouvoir et légitimité, Ed de l'école des hautes études en sciences sociales, Paris.
- 3- زقور عفاف، (2013)، "الفضاء العمومي وأبعاده المركبة بمدينة الجزائر: نادي الترقّي والتعبئة الدينية- السياسية (1927- 1940) من: حسن رمعون وعبد الحميد هنية (إشراف)، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، منشورات الكراسك، وهران.
- 4- QUÉRÉ L.(1990). Agir dans l'espace public, Les formes de l'action, Ed. de l'EHESS, Paris.
- 5- أحمد زايد، (2007)، صور من الخطاب الديني المعاصر، ط1، دار العين للنشر، القاهرة.
- 6- NACHI M.(2013). « Les espaces publics au Maghreb. Eléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien », In : REMAOUN H. HENIA A. (sous la direction), Les espaces publics au maghreb, CRASC, Oran.
- 7- هواري حمزة، (2013)، مواقع التواصل الاجتماعي والفضاء العمومي، دراسة المجتمعات الافتراضية الجزائرية على الفيسبوك وتناولها لقضية الفساد في سوناطراك" صفحة راديو طرطوار نموذجاً"، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر03.
- 8- Habermas Jürgen.(1991). The structural transformation of the public sphere, An Inquiry Into Category of Bourgeois society, Cambridge, polity.

- 9- رشيد العلوي، (2014)، الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر، مجلة، مؤمنون بلا حدود، الرباط المملكة المغربية، <http://www.mominoun.com/articles/545>، e02a2d35d5592087784350. يوم الزيارة: 2020/03/11.
- 10-COTTEREAU A. - PAUL L.. (1992). Pouvoir et légitimité, Ed de l'école des hautes études en sciences sociales, Paris.
- 11-مالي عبد القادر، (2013)، "إمكانية تأسيس فضاء عمومي بالجزائر وفق المنطق النظري والتطبيقي لهابرماس"، من: حسن رمعون وعبد الحميد هنية (إشراف)، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، منشورات الكراسك، وهران.
- 12- Habermas Jürgen. (1998). intégrations républicaine essais de théorie politique, édition fayard, Paris.
- 13-عكروت فريدة، (2018)، مفهوم الفضاء وتمثالاته الاجتماعية، مجلة الصورة والاتصال، جامعة مستغانم، العدد 22.
- 14-كمال بومنيير، (2010)، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى أكسل هونيث، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر.
- 15-يورغن هابرماس، (2003)، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، ط1، منشورات الجيل، كولونيا، ألمانيا.
- 16-جيل فيريول، (2011)، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط1، ترجمة أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- 17-كريب أيان، (1999)، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة، غلوم حسن محمد، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، عدد 244 ص 309.
- 18-لويس ألتوسير، (1998)، نماذج من الفكر الفرنسي المعاصر، ترجمة كاميليا صبيح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

- 19- حياة لصحف،(2013)، الخطاب بين رولان بارث وهابرماس، مجلة معالم، جامعة تلمسان، العدد6، الفصل3.
- 20- حسن مصدق،(2005)، هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 21- فوزية شراد،(2009)، فلسفة اللغة عند يورغن هابرماس، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه قسم الفلسفة، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- 22- أنتوني غدنز،(2005)، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ط4، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 23- فلة بن غربية،(2011)، في مفاهيمية الفضاء العمومي من المنظورين الغربي والإسلامي، مجلة الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، العدد15.
- 24- حسن رمعون وعبد الحميد هنيّة،(2013)، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كراسك، وهران.
- 25- كوينتين دولافيكوتوار،(2013)، مفاهيم المواطنة والفضاء العمومي عند حنة أرنت وهابرماس: استمرارية السياسي من العصور القديمة إلى الحداثة، ترجمة: نور الدين علوش، مجلة إضافات، المغرب، العدد 22.